سهام اسحاق
مهندسة معمارية ومخططة حضرية
نائبة رئيس اللجنة العلمية لمنظمة إيكوموس، (CIVVIH) المدن والقرى التاريخية

كاتدرائية نوتردام باريس :
الذاكرة الجماعية تتشكل من صور غير ملموسة !

نوتردام باريس هي بالطبع كاتدرائية، هي مكان للعبادة، ولكنها أيضاً بالنسبة للعديد منا، ومهما كانت خلفيتنا الروحانية، رمزًا يتوجّه إلى أحاسيسنا العاطفية : هي رمزٌ للفن، هي رمزٌ للأدب، هي رمزٌ قائم، هي رمزٌ لاستمرارية القيم المتجذرة في هوية وطنية عريقة. من هذا المنطلق، تُعتبر **نوتردام باريس** إحدى جواهر التراث الثقافي الوطني والعالمي.

بدأت مجمل أعمال بنائها في عام 1163 واكتملت في عام1345. فهي تعد واحدة من أقدم وأجمل الكاتدرائيات القوطية في فرنسا، بعد كاتدرائية سانس. يؤمّها أكثر من 10 ملايين زائرٍ سنوياً، ويبقى هذا المعلم الأكثر استقطابًا للزوار في فرنسا.

وقد تم إعلان كاتدرائية نوتردام في باريس "معلمًا تاريخيًا"، كونها ذات قيمة عالمية استثنائية، في أول تصنيف لها عام 1862. وباتت الآن جزءًا لا يتجزأ من موقع "باريس، ضفاف نهر السين"؛ وهو موقع تراثي عالمي ثقافي تم إدراجه على قائمة اليونسكو عام 1991التي تشمل ستة مواقع أخرى مصنفة، منهاL’Esplanade des Invalides ، Le Champs de Mars، وحدائق الـ Trocadéro.

وفي 15 نيسان 2019، تابع العالم مباشرة الحريق المدمر الذي لحق بهذه الكاتدرائية.
لم نبقَ غير مبالين أمام هذا الحريق الهائل، بل حرّك فينا مشاعر ألم كبير... إنه اعتداء مؤلم على الذاكرة الجماعية.

أظهرت نتائج المسح أضرارًا جسيمة :

· قلب القبة الخشبية القديمة المصنوعة من عوارض خشب السنديان، التي تعود إلى العصور الوسطى من القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وجزء من السقف المعقود قد تحوّلا إلى رماد.

· البرج النيو–قوطي، هبّت به النيران ليصبح شعلة عمالقة، ثم انهار فوق تقاطع الجناح محدثًا حفرة واسعة. رغم ارتفاعه بنحو 93 مترًا، كانت لهذا البرج النيو–قوطي صفة تزيينية بحتة، فهو لا يحتوي على أجراس. صممه المعماري والمرمم Viollet–le–Duc عام 1859، فأصبح عنصرًا مميزًا لهذا المعلَم.

لقد نجحت العمليات البطولية لرجال الإطفاء بإنقاذ هيكل البناء وبالتالي تجنب خطر الانهيار الكامل لصحن الكنيسة. فبقي المبنى قائمًا إنما التشوه كبيرٌ.

هذه الكاتدرائية المدرجة على لائحة التراث العالمي للإنسانية، يتناغم طرازها المعماري وموقعها مع الأزمنة. إنها قلب فرنسا النابض الذي عايش الأحداث الكبرى في تاريخها الطويل. إنها المكان المميز لذاكرتها متجاوزةً المعتقدات الدينية لكل فرد، والأنظمة السياسية التي تعاقبت على أرضها عبر العصور.

في 8 كانون الأول 2024، أعيد فتح كاتدرائية **نوتردام باريس** أمام الزوار بعد خمس سنوات من أعمال الترميم. خلال هذه السنوات الخمس، قام خبراء في مجال البناء والتراث بحماية المعلم، ثم ترميمه بعد الدمار الذي لحق به. لا يسعنا إلا الإشادة بتفوق معماريي التراث، والشركات، والباحثين، وكل الحرفيين مثل نحاتي الحجر، والعمال المختصين في الأسقف، وفناني الزجاج الملون... هذه المهن تحدّت جميعها المستحيل.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحدث، رغم ضيق المواعيد النهائية المحددة، ورغم وجود الكثير من السقالات والعمال، أتاح لعلماء الآثار فرصة استثنائية للتنقيب في أرضية الكاتدرائية والمساهمة بذلك في إثراء معرفتهم بالموقع.

إعادة البناء، هي "ورشة القرن"، تتطلب تكاتفًا استثنائيًا وعملية نموذجية:

تكاتف، تحديات صعبة التجاوز، حلول مبتكرة

دفعت التعبئة الدولية وحماس الجمهور الواسع الجهات الفاعلة في مجال التراث إلى قبول تحدي إعادة إعمار هذا المعلم العقاري العائد للدولة، ضمن مهلة زمنية لا تتجاوز الخمس سنوات كما حددها الرئيس الفرنسي. وتمثلت هذه التعبئة أولًا في تجمع الفرنسيين والتفافهم حول هدف واحد، ألا وهو ترميم نوتردام، وذلك من خلال توحيد الطاقات وتبرعات الأفراد والشركات والمؤسسات. وتجسدت هذه التعبئة من خلال :

• عمل تنظيمي دؤوب أدى، وفي وقت قياسي لا يتجاوز الثلاثة أشهر، إلى اعتماد قانون 29 تموز 2019 الذي حدد إطارًا تشريعيًا وتنظيميًا استثنائيًا للإجراءات الإدارية والمالية اللازمة لترميم الكاتدرائية؛

•تكاتف مالي للقيام بحملة جمع تبرعات دولية هائلة؛

•إنشاء مؤسسة رسمية خاصة بالكاتدرائية تتولى منذ 4 كانون الأول 2019 إدارة مشروع ورشة العمل

الأصالة التاريخية والتقنيات الحديثة

لا يقتصر التحدي القائم فقط على مسألة الإلتزام بالمواعيد. فقد سمحت عملية الترميم العميق لموقع مهم مثل نوتردام باريس في إبراز التحديات المتعلقة بتصميم المعلم نفسه، وإعادة مراجعة تقنيات البناء القديمة التي تعود لآلاف السنين، والتمكن من الحفاظ على الأصالة التاريخية باستخدام وسائل حديثة تعزز من استدامتها.

توجب اللجوء إلى مهارات استثنائية نظرًا لهذه المهمة المعقدة، ووضع منهجيات مبتكرة للعمل المشترك، ودمج دقيق للخبرات بين مهارات معماريي التراث والخبرة التقنية لمختلف الحرفيين الذين يعملون في المشروع في وقت قصير ومحدود.

الورشة، مغامرة بشرية قادها فيليب دو فيلنوف، كبير المهندسين المعماريين لدى إدارة المعالم التاريخية (2019-2024)

منذ 15 نيسان 2019، بدأت الورشة بتكاتف جميع الطاقات، المعماريون، المهندسون، أمناء المتاحف، علماء الآثار، الباحثون، العاملون على الحبال، الحرفيون والمرممون...

ساهم أكثر من 1000 عاملٍ متخصصٍ من شركات متنوعة في هذه المغامرة البشرية.

تم ضبط تنظيم مراحل ورشة العمل هذه بفضل البيانات والموارد المتاحة، بالإضافة إلى الوثائق السابقة التي تعد عنصرًا ذي طابع تذكاري لحفظ كنوز البشرية.

بدأت الأشغال بتأمين وتعزيز هذا المعلم الاستثنائي على نطاق غير مسبوق. وكانت إحدى المراحل الرئيسية في إعادة البناء هي مرحلة التقييم وفرز القطع الأثرية. ولقد سمحت هذه المرحلة الرئيسية، وفقًا لبروتوكولات محددة، بتوثيق الأنقاض التي ستساهم في فهم المعلم وتغذية الأبحاث الجديدة.

لقد سمح تصنيف عناصر العمارة، الذي شمل حوالي 200 منصة من الحجارة و150 منصة من العناصر المعدنية التي تم اختيارها بعناية من قبل المعماريين الرئيسيين للمعالم التاريخية، إما بإعادة استخدامها في الترميم أو استخدامها للتوثيق.

علينا أن نشيد بالجهود الكبيرة المبذولة للوقاية من مخاطر الرصاص، وهو مادة موجودة بشكل واسع في ورشة العمل الخاصة بالكاتدرائية. إذ أن احتراق السقف وبرج الكاتدرائية أدى إلى انصهار كبير للرصاص الذي انتشر داخل المعلم وحوله. ولضمان صحة العاملين في الورشة وسكان الحي، تم اتخاذ تدابير لتجنب انتشار هذه المادة السامة أثناء عملية ترميم المبنى.

ساهمت كثرة المبادرات العفوية، والأبعاد غير المألوفة للورشة، وموضوعها، وحجمها، والمواعيد المحددة لها، في جعلها مغامرة بشرية غنية وفريدة، مصدرًا للتعلم والتعليم لكل من ساهم فيها.

كما تعتبر هذه الورشة في حد ذاتها إرثًا للترميم المستقبلي.

مهل زمنية مستحيلة تم احترامه

•كانون الأول 2023 : البرج الذي تم ترميمه، والذي يبلغ ارتفاعه 93 مترًا، يعلو من جديد كنيسة نوتردام.

•كانون الثاني 2024: تم تركيب قلب القبة الخشبية القديمة للهيكل.

•اذار 2024 : أزيلت السقالات عن البرج، وأعيدت التحف الفينة الكبيرة إلى مكانها

•أيلول 2024 : إرجاع وتركيب الأجراس بعد تنظيفها

•كانون الأول 2024 : إعادة افتتاح نوتردام

حفظ، وصيانة، وتوريث

" نحن لا نرث الأرض من أسلافنا، بل نستعيرها من أبنائنا."

Antoine de Saint-Exupéry.

**نقطة انطلاق شبكة الطرق الفرنسية تقع على ساحة نوتردام، حيث تم إدخال حجر صغير في الأرض ليمثل رمزيا "الكيلومتر صفر".*

*** Viollet-le-Duc Eugène، المولود في عام 1814 والمتوفي في عام1879، هو معماري فرنسي معروف بأعماله في ترميم المباني القوطية والأبنية من القرون الوسطى، والمباني الدينية والقصور ومن بينها نوتردام باريس، بيارفون، كاركا سون، موينت سان ميشيل، وقلعة روكيتاياد.*

بعد انتهاء الثورة، كانت كاتدرائية نوتردام في باريس في حالة مزرية. أُطلِقت مسابقة لترميمها عام 1842، وفاز بها Jean-Babptiste Lassus (1807-1857) و Eugène-Emmanuel Viollet-le-Duc (1814-1879)

La toiture de la cathédrale Notre-Dame de Paris après l'incendie © ALEXIS KOMENDA / C2RMF /

vuepartielle de la reconstruction desvoûtes, de la charpente surnommée "la forêt de Notre-Dame", de la flèche et de la couverture. En novembre 2024 : la forêt vue du grand comble de la nef. Mille chênes, soigneusement sélectionnés pour leur caractéristiques et propriétés, ont été nécessaires pourréaliser ce travail titanesque.

La restauration de la « forêt » de Notre-Dame de Paris.

Notre-Dame de Paris Noel 2018 © ISHAC

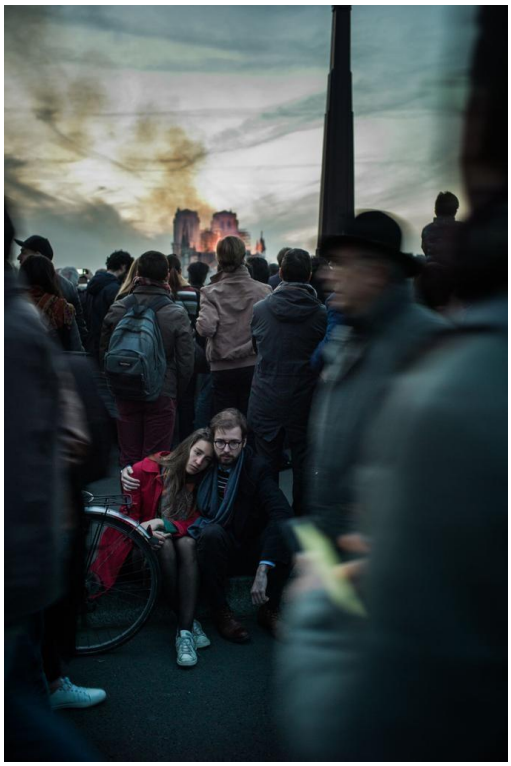

Des millions de témoignages et de photos font désormais **partie de ce lieu …nourrissent sa** *mémoire formeront des muséeset des expositions, une transmission réelle pour le futur*

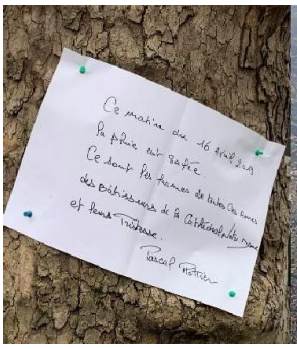

- *Source: diversmedia et documents architectes KM*